المورد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام ـ دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد ـ الجمهورية العراقية

WWW.ATTAWEEL.COM

المجلد السادس عشر

ربيع ١٩٨٧

العدد الأول

رئيس التحرير حازم الكيبي

سكرتيرة التحرير هدى شوكت بهنام

أسد الدين محمد

مختصر تاريخ الطب العربي

تأليف الدكتور

كمال السامرائي

عرض وتحليل الدكتور

عبد علي الجسماني

يبدأ المؤلف بـ [اساطير وحقائق في الطب القديم] فيشير الى أن الهرامسة [العلماء] قد توطد مكانهم في حضارة وادي الرافدين . وان حكايات الهرامسة : [باطارها ومضمونها الثراثي . تدل في أضيق معانيها على أن شعوب ما بين النهرين ومصر كانت من اوائل العالمين الذين اكتشفوا اهمية الصحة لحياة الانسان . واضرار المرض ومارسوا الطب لمعالجته . ولان صناعة الطب مثل اي صناعة اخرى لاتولد مكتملة ؛ بل ان المعرفة بها تزداد بمرور الزمان ... الخ] .

ولد الحديث عن (الطب في مابين النهرين ؛ يفرد المؤلف صفحات تبرز دوره ، مع الحفاظ على التوازن العلمي بالنسبة لسائر معطيات الفكر الانساني في هذه المضمار ؛ انتهج المؤلف نهجا جمع فيه بين التعريف الزماني ممثلا بالتاريخ والتعريف المكاني واطاره علم الجغرافية ؛ والتعريف الفكري ووعاؤه عقل الانسان في البيئة . وان المرء حين يقرا كتاب الدكتور السامرائي بجزايه ليكبر حقا سكان وادي الرافدين عامة والبابليين منهم بخاصة ، اذ كانوا مبكرين [في معرفة اهمية الكبد لحياة الانسان فدرسوا تشريحه وعرفوا ملحقاته وما يتصل به من الاوعية الدموية .] هذا الى جانب معرفتهم بمرض (الجذام) والعدوى به ، ومرض (السيلان ؛ والعمليات الجراحية .

ولقد اجتهد المؤلف في اظهار اواصر التواصل في الفكر الانساني . اذ لم يغفل ذكر (الطب في الحضارة الهندية ؛ و (الطب اليوناني ؛ و (الطب عند الرومان) ؛ موضحا تسلسل الحقب الزمنية . مع اهتمام بعناصر المؤثرات البيئية من ناحية . ومكانه قريحة الامة من ناحية ثانية . فهو حين يتحدث عن ارسطو ؛ مثلا . لايذكره انسانا عارفا بالطب وحسب ؛ بل يذكره كذلك حكيما ؛ له اقوال مأثورات منها على سبيل المثال لاالحصر :

[● خير الاشياء اجدها الا المودات فان خيرها اقدمها .] .

[● العالم يعرف الجاهل لانه كان جاهلا ؛ والجاهل لا يعرف العالم لانه لم يكن عالما] .

[● اللؤم يهدم الشرف ويعرض النفس للتلف .] .

[● المنكر لما لا يعلم اعلم من المقر بما يعلم .]

عندما نقرأ اليوم في ضوء معايير العلم الحديث ومقاييسه ، ما كان يتحدث عنه اطباء عاشوا قبل الاف السنين ، لاشك اننا نقر لهم بفضل العرفان ويقين البرهان . فحين نستبين منهم ومن وصفهم لامراض جسمية مثل الربقان والكبد ، وما عرضوا

WWW.ATTAWEEL.COM

لوصفه من امراض نفسيه كالمنخوليا او (مرض السوداء) ، وما تحدثوا عنه من موضوعات تخص الذاكرة وفقدانها او تقويتها . ومانطلع عليه من اقوالهم بأن [ذاكرة الاطفال قوية نشيطة لان ذهنيتهم خالية من المشاكل والمشاغل ...] ؛ كل هذا وامثاله يحملنا على الاقرار بالاعجاب بأولئك الذين اهتدوا الى ذلك كله بأقباس من قرائحهم وبأستبصار من فراساتهم ، وان ندرت لديهم المعينات العلميةوالوسائل المختبرية . فعلينا ان نتأمل زمانهم ذاك الذي فيه عاشوا وان نتدبر عمق تفكيرهم ذلك الذي به استناروا واهتدوا ؛ لنزن الامور بموازين حياتهم هم وليس بموازين حياتنا اليوم ونحن نعيش عصر الثورة العلمية الرابعة : عصر الفضاء فهم قد تعذرت لديهم الوسيلة وندرت عندهم الاداة ، والطب عندما اليوم ينعم بالجراحة الدقيقة وبالالات الطبية المتطورة تتحكم بها اشعة الليزر فتسيرها في احشاء الانسان الى شأن الطبيب النطاسي . كل هذه الفوارق علينا ان نستحضرها فنتملاها ونتقراها ومنها نستنبط العبر .

يتهادى المؤلف في رحلته الوصفية والعلمية التوثيقية ، فيروي لنا كيف ان العرب قبل الاسلام توصلوا الى معرفة بعض الامراض عن طريق مايمكن ان نصفه بلغة عصرنا **الطب المقارن** - او **العلم** المقارن. اذا جاز لنا ذلك . فهم قد [عرفوا بعض الامراض بالمقارنة الى مايظهر على ماشيتهم او على صحرائهم من تغيرات غير مألوفة . فاطلقوا على الحالة التي سموها ـ الجدري ـ هذا الاسم لان بثور هذا المرض تشبه ماتطرا من السلع على اعناق الابل ؛ او مايدل على النتوءات التي تظهر على سطح الارض اذا ـ جدرت ـ اي اذا ارتفعت في بعض مواضعها بسبب اندفاع النبت من تحتها . وعرفوا **الحصبة**، وقد اخذوا اسمها من الارض الحصباء ؛ اي ذات الحصى الناتئة على اديمها . وعالجوا هذين المرضين ببذور الحشائش والحرمل والحنظل ...] كما عرفوا اليرقان وشخصوه وسموه بهذا الاسم ، وهي تسمية في الطب الحديث ما فتئت كذلك سارية .

كان جل الاطباء العرب قبل الاسلام [مخضرمين] ، اي انهم عاشوا حتى ادركوا العصر الاموي ، ومنهم على سبيل المثال :

ابن ابي رمثة ،
وابن حذيم ،
والشفاء بنت عبدالله القرشية ،
رفيدة الاسلمية ،
ضماد بن ثعلبة الازدي ؛
الحارث بن كعب ؛
ام عطية الانصارية ،
زهير بن ضباب ،
الشمردل بن قباب الكعدي .

وقد مارس هؤلاء الاطباء وسواهم كثيرون الطب او الجراحة او الاثنين معا ومهروا بصناعة الطب .

يبدو جليا أن الطب في فجر الاسلام وعصر الراشدين وفي العصرين الاموي والعباسي قد أصاب حظا موفورا تميز على ما كان قد سبقه وقد استعمل العرب آنذاك مصطلحات هي من صلب المصطلحات الطبية في قياس الحياة الحاضرة . من ذلك مثلا : الشرايين، الاوردة ، الابهران، الاكحل، الودجان، حبل الذراع ، الاسيلم وهو [عرق بين الخنصر والبنصر] ، الصافن بنوعيه ، عرق النسا ، الطبقة المشيمية في العين ، الملتحمة وهي [بياض المقلة] ، الفتق ، الاثنا عشر ، المعى المستقيم ، الحمى بانواعها ومنها مثلا :

الورد
الغب
المطبقه
المحرقة

وسوى ذلك كثير مما لايسمح المكان بايرادها . وللاستزادة يمكن الرجوع اليها في الجزء الاول (ص ٣٤٤ ـ ٣٤٩) ؛ وحينئذ سيدرك القارىء ما كان لاسلافنا من علم بديع بلغوه وشأو رفيع ادركوه .

ولبيت الحكمة في بغداد شأن باذخ كان قد بلغه [الحكمة] ، على لسان المؤلف (هي لغة كل ما يوافق الحق والحقيقة والعلم والحلم .) وقد استقطبت من الاطباء العرب وسواهم فدمجتهم بالحضارة العربية الاسلامية . ولقد اورد المؤلف اسماء حوالي اثنين وعشرين طبيبا من اشهر اطباء ذلك العصر منهم مثلا :

ابو بكر الرازي ،
وفريق من الاطباء العباديين ،

واطباء من اسره بني الطيفوري ،
ابن سينا
بعض الاطباء الحرانيين
احمد بن محمد الطبري
علي بن عيسى الكحال ؛
ابو الفرج بن الطيب ؛
ابن هبل البغدادي ؛
علي بن سهل ابن الطبري ؛ .
ولهذا الاخير مثلا حكم هي بالمبادي الطبية ؛ منها قوله :

[● طول التجارب زيادة في العقل .]

[● الطبيب الجاهل مستحث الموت .]

[● المتكلف يورث الخسارة .]

[● شر القول مانقض بعضه بعضا .]

وكان الاجماع بين جمهرة اطباء ايامنا الحواني ذلك ، انه ينبغي ان يتقن الطبيب صناعته ؛ وان يروض يده على استعمال المباضع . والكي . والقطع . والخياطة على الجلود ... وينعلم علاج العين ...] كما ورد على لسان احدهم . ومثل هذا التوكيد نألفه جاريا في عصر تقدم المعرفة التكنولوجية الحاضرة . بل ان اكتساب الخبرة والمهارة الطبية . انما هما من بين مبادىء علم الطب الحديث . فما انبل العقول التي اعتزت بقيمة الانسان انذاك واهتمت بصحته في الحياة . لهذا وعى التاريخ مكانتهم واعلى حقا شأنهم .

ان المرء ليجل تمام الاجلال اولئك الاطباء الذين جمعوا بين فطنة النباهة وغزارة العلم ووفرة التاليف . فهذا مثلا ثابت بن قرة الحراني قد ترك (٢٢) مؤلفا بين كتاب ومقالة بقياس ذلك الزمان ، اذا ماعرفنا ان المقالة عندهم يومذاك ترقى الى مصاف الكتاب الغزير بعلمه. وهذا هو الرازي قد ترك بعده (١١١) كتابا ورسالة ومقالة ، كلها مراجع في الطب ونفائس في العلم ، اغنى بها عصره واثرى بها دهره ؛ فلبثت ماثلة تتحدى عوادي الزمان حتى وصلت الينا . ان المرء ليطمئن حقا الى ماض كان فيه مثل اولئك الاطباء الافذاذ الذين يتعذر اثبات اسمائهم كافة على هذه الصفحات القلائل.

يعرّج المؤلف على ذكر الطب والاطباء والبيمارستانات في ديار الشام والجزيرة ، وفي مصر وفي المغرب العربي ــ المغرب وتونس ــ وفي بلاد الاندلس العربية ؛ ويستكمل الرحلة فيورد اهمية الطب العربي في اوربا اللاتينية . فمن مشاهير اطباء مصر انذاك مثلا :

عمار بن علي الموصلي
ابن سعيد التميمي
ابن رضوان المصري ؛
ابن البيطار .... الخ

ومن اشهر الاطباء العرب في ديار الشام .
ابن القف .
ابن النفاش .
رشيد الدين بن الصوري .
بنو ابي اصيبعة .. الخ

ومن اطباء الاندلس والمغرب اورد المؤلف مثلا :

ابو القاسم الزهراوي .
ابن جلجل الاندلسي ؛
ابن رشد .
الشريف الادريسي ... الخ .

ومن مشاهير اطباء تونس البارزين :
اسحاق بن عمران البغدادي .
اعين بن اعين .
ابن الجزار القيرواني .
ابو الصلت بن ابي الصلت ... الخ

ويجد المرء ان تسمية البيمارستان . او المستشفى بالمفهوم الحديث . كانت واحدة في مشرقنا العربي وفي المغرب العربي ؛ على حد سواء وفي تونس بخاصة استخدموا يومذاك كلمة [دمنة] كذلك وأرادوا بها البيمارستان ايضا . ولقد افاض المؤلف في الحديث عن الطب والاطباء في المغرب العربي ؛ هذا الى جانب كتب اخرى قد شملت المغرب كله بالتسمية ثم فصلت بالتخصيص ، نذكر منها مثلا . (الاسناد الطبي في الجيوش الاسلامية) للحكيم راجي عباس صالح التكريتي .

يطرفنا المؤلف كيف رسخت قدم الطب العربي في اوربا اللاتينة، ولاسيما في صقلية ، وكف نشأت مدرسة سالرنو ؛ ولبثت عظمة علوم العرب الطبية

مما حدا بالأوربيين الى ترجمتها الى لغاتهم . حقا انه لدور يبعث على الاعتزاز بذلك الدور الذي مثل ارادة الحياة فكان وقد خلد ذاته [ص ١٩٩–٢٣٢ الجزء الثاني] .

ولولا اصالة العلوم الطبية عند العرب آنذاك ؛ لما تمسك الاوربيون حتى اليوم بأفكار العرب وعلومهم وكثير من مصطلحاتهم ومنها مثلا :

ليمون	Citrus
كركم	Curcuma
كافور	Campnora
صندل	Santalum ... الخ (ص ٢٠٧ ، ج ٢) .

ولمحة من المؤلف حاذقة اذ يورد [شخصية الطبيب العربي وسلوكه المهني] وهذا يذكرنا بكتاب اخر هو : [السلوك المهني للاطباء] للحكيم راجي عباس التكريتي يذكر الدكتور السامرائي . ج٢ : ص (٥٤) ؛

[اية مصادفة غريبة ان تعني كلمة ــ طب في اللغة العربية اهم صفات الطبيب التي وضعها العرب لذوي هذه الصنعه . اذ ترد هذه الكلمة بمعنى الطب وهي المهنة المعروفة . وترد بمعنى الترفق والتعاطف ومن هذا جاء المثل : احب طب .] فمما اراده العرب ويريدونه للطبيب [ان يكون ذا خلق كريم وصحيح الاعضاء ، جيد الرؤية ، خير الطبع ، وغزير المعرفة بالعلوم ...] . فمهنة الطب ، واية مهنة سواها ، متى اضحت لها تقاليدها السامية وضوابطها الهادفة الرامية الى مرامي الخير ، ساد اعطافها الانصاف وتقبلتها النفوس الرضية بالتكريم .

وبعد ، فماضي الامة زمانها الحي . وتراثها مجدها الناطق . حاضرها شاهد شاخص على ديمومة عبقريتها . ومستقبلها ترحاب بعنفوانها الاتي ولاريب . فالتواشج الزمني له مغزاه ، وعلينا جميعا ازاء امتنا تبعات . لماضينا عظمته ان وعيناه ولمجدنا قوته ان استوعبناه ؛ ولشخصيتنا الجديدة المتجددة اليوم منبتها المؤثل في غوابر السنين علينا تمليها واستبانة تكوينها . وهذا بعض مايستفاد من هذا الكتاب . فهو بجزايه ؛ مؤلف في تضاعيف موسوعة ، وهو لامراء موسوعة بين دفتي كتاب .

وللمرء بعد ان يقدر مبلغ الصعوبة التي واجهت المؤلف ، لكنها صعوبة لم تحد من الجهد الجم الذي بذله فيه . فاستحق الدكتور السامرائي بذلك ثناء الناقد ، واقبال القارىء . واستزادة المستزيد .